

التحرير والتنوير

وجملة (هذا خلق ا) إلى آخرها نتيجة الاستدلال بخلق السماء والأرض والجبال والدواب وإنزال المطر . واسم الإشارة إلى ما تضمنه قوله (خلق السماوات) إلى قوله (من كل زوج كريم) . والإتيان به مفردا بتأويل المذكور والانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله (خلق ا) التفاتا لزيادة التصريح بأن الخطاب وارد من جانب ا بقرينة قوله (هذا خلق ا) . وكذلك يكون الانتقال من التكلم إلى الغيبة في قوله (ماذا خلق الذين من دونه) التفاتا لمراعاة العود إلى الغيبة في قوله (خلق ا) . ويجوز أن تكون الرؤية من قوله (فأروني) علمية أي فأنبئوني والفعل معلقا عن العمل بالاستفهام ب (ماذا) .

فيتعين أن يكون (فأروني) تهكما لأنهم لا يمكن لهم أن يكافحوا ا زيادة على كون الأمر مستعملا في التعجيز لكن التهكم أسبق للقطع بأنهم لا يتمكنون من مكافحة ا قبل أن يقطعوا بعجزهم عن تعيين مخلوق خلقه من دون ا قطعاً نظرياً .

وصوغ أمر التعجيز من مادة الرؤية البصرية أشد في التعجيز لاقتضائها الاقتناع منهم بأن يحضروا شيئاً يدعون أن آلهتهم خلقته . وهذا كقول حطائط بن يعقر النهشلي وقيل حاتم الطائي : .

أريني جوادا مات هزلا لعلني ... أرى ما تزين أو بخيلا مخلدا أي أحضرنى جوادا مات من الهزال وأرينيه لعلني أرى مثل ما رأيته .

والعرب يقصدون في مثل هذا الغرض الرؤية البصرية ولذلك يكثر أن يقول : ما رأت عيني وانظر هل ترى . وقال امرؤ القيس : .

فأعينا من رأى من تفوق ... أشت وأنأى من فراق المحصب وإجراء اسم موصول العقلاء على الأصنام مجازاة للمشركون إذ يعدنهم عقلاء . و (من دونه) صلة الموصول . و (دون) كناية عن الغير و (من) جارة لاسم المكان على وجه الزيادة لتأكيد الاتصال بالطرف .

و (بل) للإضراب الانتقالي من غرض المجادلة إلى غرض تسجيل ضلالهم أي في اعتقادهم إلهية الأصنام كما يقال في المناظرة : دع عنك هذا وانتقل إلى كذا .

والظالمون : المشركون . والضلال المبين : الكفر الفطيع لأنهم أعرضوا عن دعوة الإسلام للحق وذلك ضلال وأشركوا مع ا غيره في الإلهية فذلك كفر فطيع .

وجيء بحرف الطرفية اكتناف الضلال بهم في سائر أحوالهم أي شدة ملابسته إياهم .

(ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر ا ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ا غني

حميد [12]) E A الواو عاطفة قصة لقمان على قصة النضر بن الحارث المتقدمة في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) باعتبار كونها تضمنت عجب حاله في الضلالة من عنايته بلهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذ سبيل الله هزوا وباعتبار كون قصة لقمان متضمنة عجب حال لقمان في الاهتداء والحكمة فهما حالان متضادان ؛ فقطع النظر عن كون قصة النضر سبقت مساق المقدمة والمدخل إلى المقصود لأن الكلام لما طال في المقدمة خرجت عن سنن المقدمات إلى المقصودات بالذات فلذلك عطفت عطف القصص ولم تفصل فصل النتائج عقب مقدماتها . وقد تتعدد الاعتبارات للأسلوب الواحد فيتخير البليغ في رعيها كقوله تعالى (يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم) في سورة البقرة (ويذبحون أبناءكم) في سورة إبراهيم وافتتاح القصة بحر في التوكيد : لام القسم و (قد) للإنباء بأنها خبر عن أمر مهم واقع .

و (لقمان) اسم رجل حكيم صالح . وأكبر الروايات في شأنه التي يعضد بعضها وإن كانت أسانيدها ضعيفة تقتضي أنه كان من السود فقليل هو من بلاد النوبة وقيل من الحبشة . وليس هو لقمان بن عاد الذي قال المثل المشهور " إحدى حطيات لقمان " والذي ذكره أبو المهوش الأسدي أو يزيد بن عمر يصعق في قوله : .
تراه يطوف الآفاق حرما ... ليأكل رأس لقمان بن عاد